الفصل الأول

الطريق إلى إخلاء الأرض

"إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم و تمحون جميع تصاويرهم وتخربون جميع مرتفعاتهم!! "

سفر العدد الإصحاح 33

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

الطريق إلى إخلاء الأرض

نحاول في هذه الدراسة أن نـنفض الغبـار عـن أوهـام اللـوبي الـصهيوني Zionist Lobby وخداع أجهزة الإعلام التي حاولت تشويه صورة كـل فلـسطيني وتـصوره خـائن باع أرضه لليهود وبكامل إرادتـه، وفي هـذه الدراسـة نتعـرض لتلـك الإشـكالية ونفنـدها بأسلوب علمي بعيداً عن الأهواء والنزعات النفسية والقومية لتكون دراسة هـدفها الأول تصحيح مفاهيم مغلوطة أو مشوشة.

جذور المشكلة

ولمناقشة تلك القضية الشائكة لابد من العودة إلى جـذور المـشكلة منـذ بدايـة مـن القـرن التاسـع عشر أثناء الحكم العثماني[1]، حيث كانت الأراضي الفلسطينية مـن حيـث ملكيتهـا تتبـع جهـات عـدة: ملكيات اقطاعية كـبيرة Properties of a large feudal يتقاسمهـا مـلاك كبـار فلـسطينيون وعـرب غـير فلسطينيين مثل السوريين واللبنانيين الذين تجمعـت في أيـديهم الأراضـي غالبـاً في ظـل وحـدة الأرض أيام الخلافة العثمانية؛ ثم أراضي الوقف الإسلامي، وأراضـي الكنـائس المـسيحية، والأراضـي الخاصـة لصغار الملاك الفلسطينيين[2].

هذا وقد عمل الصهاينة على تنفيـذ مخططـاتهم لاغتـصاب الأرض العربيـة بكافـة السبل وسوف نتناولها فيما يلي:

النواة الأولى للمأساة (حي مونتفيوري)

كانـت البـدايات الأولى لـشراء اليهـود أراضـي في فلـسطين عـام 1855م - نتيجـة تـدخل بريطانيـا لـدى الـسلطات العثمانيـة - علـى يـد موشـي مونتفيـوري Moses

(1) أصبحت فلسطين خاضعة للحكم العثماني منذ عام (1516 – 1917 / 922هـ– 1336هـ).

(2) توجد مئات الآلاف من سندات الملكية لصغار الملاك الفلسطينيين ما زالت في حوزتهم أو حوزة أبنائهم.

obeikandi.com

Montefiore [1] زمن السلطان عبد المجيد[2]، فأصدر فرماناً سنة 1849 يجيز لليهود شراء الأراضي في الديار المقدسة في منطقة موزا (غرب القدس) وقد أقيم عليها فيما بعد الحي اليهودي المعروف بحي مونتفيوري [3].

(1) موشى مونتفيوري (1784–1885) ثري ومالي يهودي بريطاني، زعيم الجماعة اليهودية في بريطانيا، ومن كبار المدافعين عن الحقوق المدنية لليهود في إنجلترا والعالم. ولد في بريطانيا لأسرة إنجليزية ذات أصول إيطالية سفاردية استقرت في إنجلترا في القرن الثامن عشر. وبدأ عمله كسمسار في بورصة لندن حيث حقق ثراء سريعا. وقد ارتبط بعائلة روتشيلد المالية الثرية من خلال المصاهرة، الأمر الذي ساعده في مجال أعماله. وقد كان مونتفيوري من أوائل المشاركين في تأسيس البنوك الصناعية بالتعاون مع المؤسسة الإنجليزية ـ الأمريكية العاملة في مجال الماس والمال والتي اشترك في تأسيسها إرنست أوبنهايمر اليهودي الثري رجل الصناعة والمال في جنوب أفريقيا. وقد حقق مونتفيوري ثروة طائلة من خلال أعماله، وهو ما مكنه من اعتزال العمل عام 1824. وقد كان مونتفيوري ثاني يهودي يتولى منصب عمدة لندن وأول يهودي يحصل على لقب سير، راجع، موسوعة المسيري، اليهود واليهودية: ج6، ص، 177.

(2) عبد المجيد الأول (1823 – 1861)، السلطان رقم 31 في الدولة العثمانية. وهو أول خليفة عثماني يرعى مسيرة التغريب تحت شعار الإصلاح والتحديث في الدولة العثمانية، حيث استحدث الباب العالي(رئاسة مجلس الوزراء) الذي أصبح يتولى مقاليد السلطة، ويقاسم السلطان نفوذه، في حكم الدولة، بينما أصبحت مشيخة الإسلام مجرد هيئة شورية. وهو والد السلطان عبد الحميد الثاني، راجع، إسماعيل أحمد ياغي، "الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث"، مكتبة العبيكان، الرياض1996م، وعبدالعزيز الشناوي، "الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980.

(3) للمزيد راجع، روث كارك: الأراضي واستصلاحها أثناء زيارة مونتفيوري الثانية إلى فلسطين 1839 م، مجلة كاثدرا، القدس، العدد 33، 1986 م، ص 4، وعادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700–1918، مؤسسة الدراسات الفلسطينية 1999، ومحمد الحزماوي، ملكية الأراضي في فلسطين 1918– 1948، مؤسسة الأسوار، عكا 1998.

وبذلك كانت بداية مواطئ القدم للصهاينة في فلسطين من القدس[1] بالذات، قلب العقيدة، ليمتد بعدها كالإخطبوط في أرجاء فلسطين[2]، واستطاع مونتفيوري من خلال زياراته المتعددة لفلسطين إثارة مزيد من الاهتمام بالمستعمرات "المستوطنات" اليهودية الصغيرة[3].

وقد استمرت عملية تسريب الأراضي Diversion of land في فلسطين إلى الأجانب، بعد إقرار إصلاحات وتنظيمات عرفت باسم "التنظيمات الخيرية" عام 1856. بموجب هذه التنظيمات أصدرت الدولة العثمانية The Ottoman State – تحت ضغط

---

(1) تقع مدينة القدس على خط طول 31 53 درجة شرقي جرينتش، وعلى خط عرض 74 13 درجة شمالاً. ترتفع 720–830 متراً عن سطح البحر. وتبعد القدس على خط مستقيم 52كم عن البحر المتوسط وتبعد 22كم عن غرب البحر الميت و250كم تبعد عن شمالي البحر الأحمر. والقدس تقع في وسط فلسطين، حيث يحدها من الشمال مدينتا رام الله ونابلس، ومن الجنوب مدينة الخليل، ومن الشرق مدينة أريحا، ومن الغرب مدن اللد والرملة ويافا وغزة. ومن أسماء القدس: [أورسالم – يردسليم – يرد شالايم – شلم – شيلم – سلم – يبوس- يابينى – ياباتى – صهيون – موريا – مدينة الله – مدينة داود – ايلياكبتولينا – مدينة الملك العظيم – ارئييل – بيت المقدس – المدينة المقدسة – مدينة السلام – القدس]، راجع، معجم البلدان، 279، وينظر: الأنس الجليل، 1/ 7، المعرّب، 109، 158، بيت المقدس، الدباغ: ج 1، ق 1/ 138 نهاية الأرب، 13/ 262، تاريخ سورية، م 1، ح 1/ 255، المفصل في تاريخ القدس، ص 1.

(2) Ben Halpern, The Idea of the Jewish State, Cambridge,Mass,1961,p105.

(3) James Parkes, A History of Palestine from 135 A.D. to Modern Times,New York.1949,p.263.

openkanar.com

أوروبي بحجة إصلاح الدولة العثمانية[1]- قانون الأراضي لسنة 1858[2]، والقانون يتحكم في أراضي الدولة حيازة واستغلالاً وتصرفاً [3].

ثم تبع ذلك إصدار العديد من القوانين اللاحقة، فأصدرت لائحة تعليمات بحق سندات الطابو [4] Land Registry 1859، ثم إعلان قانون الطابو 1861، وملحقاته عام

---

(1) محمد عيسى صالحية: مدينة القدس، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت 2009 م، ص 15.

(2) راجع، قانون الأراضي لسنة 1858، المنشور في مجموعة عارف رمضان (الحكم العثماني)، بتاريخ (1/ 6/ 1925)، ص 7، وهذا القانون وضع الأراضي في فلسطين تحت أقسام رئيسية هي أراضي الملك، أي الحق المطلق في التملك الخاص وهو حق كان مقصورا على الأراضي المبنية والبساتين في المدن والبلدات ومساحات صغيرة في الريف وكانت حصة الملك تعطى بإذن خاص من السلطان وهذا النوع من الملكية هو الوحيد الذي يمكن تحويله قانونيا إلى أراضي وقف أي أراض تكرس رسميا لأغراض دينية لأجل غير مسمى، أراضي ميري وحق الملكية فيها محصور بالدولة ولكن للأفراد حق الوراثة والتصرف المشروط بدفع رسوم التسجيل بدل المثل لسند الملكية الطابو ودفع الضرائب، أراضي المحلول وهي الأراضي الميري التي انتهى حق استغلالها من قبل حامل الطابو سند الملكية إذا ما توفي بدون وصية أو خالف الشروط فلم يدفع الضرائب أو يجدد التسجيل، أراضي الموات أي غير المستغلة والبعيدة عن المستعمرات "المستوطنات" السكنية، الأراضي المتروكة أي التي تستعمل للصالح العام مثل الطرق وأماكن درسات الحصاد وغير ذلك، الأراضي والممتلكات العامة وأراضي الدولة وكانت فئة غير محددة بدقة وكانت تدخل ضمنها ممتلكات السلطان وما تستولي عليه الدولة من المتروك والمحلول والميري في مزاد علني، راجع، هند البديري: أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، الأمانة العامة، جامعة الدول العربية ، ص29 ، وأرشيفهم وتاريخنا، مرجع سابق.

http://www.aljazeera.net/NR/exeres/F0E19CBF-C299-4A9A-AFE7-3A2AF187F207.

(3) محمد عيسى صالحية: مدينة القدس، مرجع سابق، ص 25.

(4) مصطلح الطابو هو مختصر لـ"الطابو سندي" العثمانية أو سند الطابو ويقصد بها وثيقة الأرض التي قبلت بها شروط الخدمة أو شروط حيازتها وهو في الأصل إجراء للمكافأة على الخدمة المعترف بقيمتها وتستخدم الوثيقة للتدليل على حالتي منح صك التمليك او استئجار الأرض والرسم الواجب دفعه لأجلها، راجع، عماد أحمد الجواهري: الأوضاع الأقطاعية في فلسطين في العصر

1867م [1]، ونظام تملك الأجانب 1869[2] سواء كانوا أفراداً أم مؤسسات أو شركات في جميع أراضي الدولة سواء داخل المدن أوخارجها[3]، وهذا القانون فتح المجال واسعا أمام اليهود للسيطرة على أجزاء من الأراضي الفلسطينية تحت غطاء الامتيازات الأجنبية Capitulations فكان ذلك نواة للاستعمار "للاستيطان" اليهودي المنظم في فلسطين. ونتيجة لذلك قامت الدول الأوروبية كبريطانيا وفرنسا وروسيا بإرسال رعاياها للإقامة في فلسطين والعمل على شراء الأراضي وإقامة المستعمرات [4]، وبطبيعة الحال كانت المؤسسات الصهيونية أكثر الفئات الأجنبية استفادة من هذا القانون حيث اتبعت عدة وسائل للتحايل على القوانين العثمانية، منها وسيلة تسجيل القناصل أو موظفيهم للأراضي العثمانية بأسمائهم الخاصة؛ ثم يتم تسريب هذه الأراضي إلى المهاجرين اليهود Jewish immigrants بواسطة شراء أراض كانت في السابق تعتبر ممتلكات أجنبية، وعمدوا إلى تبادل الأراضي فيحصل اليهود على أراضي الأجانب هؤلاء في فلسطين مقابل اعطائهم أراضي من ممتلكاتهم اليهودية في الخارج[5].

وقد قام عدد من الأجانب والمؤسسات الأجنبية بشراء أو استئجار أراضي مختلفة من فلسطين أهمها منطقة يافا Jaffa الخصيبة. ومن أبرز هؤلاء القنصل الألماني في يافا

الحديث، سلسلة دراسات فلسطينية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مركز الدراسات الفلسطينية بغداد، 1983، ص 129، هامش رقم 1.

(1) إبراهيم رضوان الجندي: الأرض والفلاح الفلسطيني في ظل الانتداب البريطان ي، مجلة آفاق عربية، ع 8،1979 م، ص 28.

(2) وقبله كان لا يحق للأجنبي استملاك الأراضي في الدولة العثمانية لأي سبب من الأسباب فأصبح لهم حق التملك في البلاد العثمانية عدا الحجاز.

(3) محمد عيسى صالحية: مدينة القدس، مرجع سابق، ص 15.

(4) المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات.

.http://www.malaf.info/?page=show_details&Id=12&table=table_141&CatId=162

(5) بيان نويهض الحوت: فلسطين (القضية، الشعب، الحضارة) دار الاستقلال، بيروت 1991، ص391.

والقنصل البريطاني في يافا الحاخام افرينلغ والقنصل الفرنسي في عكا Acre والبارون روتشيلد Rothschild والنمساوي يوئيل سلمون وشخصيات أخرى في القنصليات والوكالات التجارية الأجنبية في فلسطين [1].

وهناك وثيقة من الأرشيف العثماني[2] Ottoman Archivesتوضح تمكن بعض اليهود الأجانب من شراء قطع أرض صغيرة في فلسطين، لكن تلك الأرض لا تسجّل بإسم اليهودي ذاته بل بإسم قنصلية بلده (أمريكا). وقد جاء فيها والتي هي عبارة عن ورقة ضبط خاصة بمذاكرات مجلس الوكلاء مؤرّخة بـ19 جمادى الآخرة 1318 الموافق لـ 14/ 10/ 1900 أنه تم السماح لليهودي الأمريكي "سومون بن ناحومان لوفنشتاين" بشراء حقل ودار بالقدس باسم السفارة الأمريكية بإسطنبول، غير أن ذلك السماح كان مشروطاً بأن يتعهّد الشخص المذكور بعدم توطين المهاجرين Re-establishment واللاجئين اليهود الأجانب في أرضه تلك. كما استخدمت الحركة الصهيونية سلاح الرشوة، وتحايلت بطرق شتى غير مشروعة لتهجير اليهود إلى فلسطين[3].

والجدير بالذكر أنه لم يكن لليهود أي حيازات للأراضي الزراعية Holdings of agricultural land في فلسطين حتى عام 1868 [4]، ولم تكن لديهم أي خبرات تذكر حتى أنهم كانوا مادة للتسلية – كما، على سبيل المثال – عندما حاول المستعمرون "المستوطنون" في ريشون لتسيون استعمال الجمال لجرّ العربات كالأحصنة، وقد مالوا إلى

---

(1) راجع، عماد أحمد الجواهري: الأوضاع الأقطاعية في فلسطين في العصر الحديث، سلسلة دراسات فلسطينية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مركز الدراسات الفلسطينية بغداد، 1983، ص 170، و معين محمد إسماعيل: ملكية الأراضي في قضاء جنين خلال فترة الاحتلال البريطاني، رسالة ماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا -جامعة النجاح الوطنية -نابلس - فلسطين، 2009 م، المقدمة، حرف ط.

(2) الوثيقة رقم MV 13/ 101.

(3) Yale W., The Near East, (Michigan: Ann Arbor, 1958), p.149.

(4) هند أمين البديري: فلسطين وأكذوبة بيع الأراضي، جريدة الأهرام، ع –41437، 19–5–2000م

أعمال من شأنها المس بالكرامة، وهي ناجمة عن جهلهم باللغة العربية وسبل حياة العرب، وأحياناً لم يحافظوا على عادات المكان ولم يحترموها. فقد كان العرف مثلاً، أن لكل واحد نصيب من المرعى الطبيعي، الأمر الذي يراه الفلاحون "هبة الله "واليهود الذين لم يعرفوا هذا النهج القديم ولم يكن لديهم علم به، والذين خشوا على محصولهم الأول واليسير، رأوا بدخول الرعاة العرب مع قطعانهم اعتداءً على حدود أراضيهم، واستخدموا القوة لطردهم[1]..

وكان عدد اليهود حتى عام 1877 م لم يزد عن 1.3 ٪، لإجمالي عدد سكان فلسطين، ولكن مع فتح إمكانية تملك الأجانب وتسجيل أراضي كأملاك خاصة، والسماح للأجانب بشراء الأراضي وما تبع ذلك من عملية بناء المستعمرات الصهيونية في أنحاء مختلفة من فلسطين، كان ذلك المحرك الأساسي للمرحلة الأولى من تسرب وانتقال الأراضي من العرب الفلسطينيين إلى غيرهم بما في ذلك مندوبي الحركة الصهيونية[2].

المحراث والسيف

اتخذ اليهود شعار المحراث والسيف Logo plow and the sword في بداية نشاطهم بفلسطين تعبيراً عن استعمار الأرض والدفاع عنها أي بمعناه العملي الاستيلاء على الأرض ومنع أصحابها من استردادها[3] ولم تظهر المستعمرات "المستعمرات "المستوطنات" بشكل منتظم خلال القرن التاسع عشر إلا في عام 1878،عندما تمكن مجموعة من يهود

---

(1) إلياس شوفاني: العرب والصهيونية 1882 -1914 مقال بجريدة الجريدة
.http://www.aljaredah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=15459

(2) راسم خمايسي: هكذا سرّبت ونزعت الأرض في فلسطين، مركز بديل لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين.
http://www.badil.org/en/haq-alawda/item/361-article13

(3) للمزيد راجع، العسكرية الصهيونية، مجموعة باحثين، بإشراف طه المجدوب، المجلد الأول، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، 1972، ص 2.

القدس من تأسيس مستعمرة "مستوطنة" بتاح تكفا פֶּתַח תִּקְוָה (أي بوابة الأمل) بدعم من المليونير اليهودي روتشيلد. وفي عام 1882 م ثم إنشاء ثلاث مستعمرات "مستوطنات" أخرى[1]، وقامت لجان المستعمرات "المستعمرات "المستوطنات" Committees settlements بتنظيم الأراضي في كل مستعمرة "مستوطنة" متجاهلة السجلات العقارية في دائرة الأراضي الحكومية "الطابو" واتخذت لنفسها سجلات ملكية خاصة سجلت فيها حدود قطع الأراضي[2]، وقد قاوم أهالي قرية العباسة قرب مدينة يافا وهاجموا المستعمرين "المستوطنين" فتصدت لهم القوات العثمانية[3].

وقد بدأ الاستيطان الصهيوني الزراعي في فلسطين ابتداءً من 1882م، حيث توجه عدد من المهاجرين الذين وصلوا إليها من أوروبا الشرقية، إلى العمل الزراعي، وذلك رغبة من الحركة الصهيونية بتوفير الاستقلال الذاتي Self-sufficiency وعدم الاعتماد على العرب، إلا أنه ما لبث أن ترك العديد منهم مزارعهم، وبحثوا عن مصدر آخر للرزق، كما عاد بعضهم من حيث أتى، وهذا يعود إلى المقاومة العربية Arab resistance في فلسطين من ناحية، وافتقار المزارعين اليهود الأوائل إلى الخبرة الزراعية من ناحية أخرى، ولم يكونوا مؤهلين لتطوير أساليب جديدة في الزراعة [4] كما أشرنا آنفاً.

وتقول المصادر الإسرائيلية نفسها أنه لم يوجد في العام 1882 أكثر من 24،000 يهودي داخل فلسطين[5]، ورغم أن هذا العدد قد تضاعف تقريبا عند أواخر القرن

---

(1) عبد الرحمن أبو عرفة: الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الجليل، ط1، 1981، ص12.

(2) دان ياهف: مائة وعشرون عاما من الصراع الصهيوني – الفلسطيني، مرجع سابق، ص 8.

(3) واصف منصور: مسألة اللاجئين جوهر القضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص 72.

(4) أحمد عكاشة: الإطار التاريخي للاقتصاد الإسرائيلي، المكتب الوطني للدفاع عن الأرض
http://www.nbprs.ps/page.php?do=show&action=mo4

(5) الأرقام مستقاة من الكتاب السنوي الإسرائيلي والرسمي، 1950 / 1951 0 القدس)، ص 81.

التاسع عشر؛ فالزيادة لم تأت بفضل فائض المواليد عن الوفيات بل جاءت بفعل الموجة الأولى للهجرة الأوربية التي قدمت من روسيا بشكل رئيسي[1].

اعتراض وتوجس

تزايدت موجات الهجرة اليهودية Jewish immigration إلى فلسطين؛ ففي سنة 1900 وصل إلى فلسطين نحو 5000 مزارع يهودي واستوطنوا في 19 مستعمرة[2]، مما أثار قلق وتوجس من عرب فلسطين فوجدنا في عام 1902 يشير ألبرت عنتابي، ممثل "بيكا" في القدس أن العداء لليهود يتصاعد، وقد أحسن الإلمام بالظروف المحلية إلى حد لا يمكن إغفال ما أضاف بصريح العبارة: "إن تذمر السكان المحليين نشأ مع ولادة الصهيونية" [3].

كما كان أيضاً بيع الأراضي لليهود محل اعتراض وقلق دائمين من أصحاب الأرض الأصليين والقائمين عليها، وهو ما يكشف عنه الأرشيف العثماني حيث نجد تقريرا مرفوعا إلى رئاسة كتابة المابين الهمايوني[4] الجليلة وقد أعده مسؤول رفيع المستوى في يافا يبدو أنه معلوم لدى السلطان لكنه اكتفى بذكر أنه العبد الداعي أي صاحب المعروض الذي يبدأ حديثه قائلا: "جرت العادة لدى الدول التي تطرد هؤلاء اليهود من أراضيها مثل روسيا والنمسا وغيرها بمقتضى مصالحها أن تشد أزرهم وتحميهم في كل مشكلة تظهر نتيجة لذلك فبينما لا يشكل اليهود العثمانيون في يافا سوى أقلية ولا يصل عددهم إلى ألفين فإن عدد الأجانب منهم اقترب من خمسين ألفا وهم يواصلون الدخول

---

(1) جانيت أبو لغد: التحول الديمغرافي لفلسطين، مقال ضمن سلسلة مقالات كتاب تهويد فلسطين: إعداد وتحرير الدكتور إبراهيم أبو لغد، ترجمة: أسعد رزق، مركز الأبحاث، سلسلة كتب فلسطينية، رقم 37، 1972 م، ص 156

(2) باميلا آن سميث: فلسطين والفلسطينيون 1876– 1983، ترجمة إلهام بشار، دار الحصاد للنشر، دمشق، 1991، ص24.

(3) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(1882 –1914) ، موقع عرب 48
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

(4) أي دائرة مقر السلطان العثماني.

إلى أرض فلسطين كل يوم بحجة الزيارة، ويقال إن هـؤلاء يعتـبرون مـن الممنـوعين حيـث تؤخذ جوازات سفرهم من قبل مأموري الميناء وتقضي التعليمات بأن يعـادوا إلى بلادهـم مع انتهاء مدة الثلاثة شهور المسموح لهم بها بالإقامة هناك ولكن المعاملة الـتي سـيعاملون بها إذا خالفوا ذلك مسكوت عنه لـذلك فإنـه لم يحـدث أن جـاء يهـودي واحـد وعـاد إلى بلاده منذ 25 عاما هي بداية المنع بحق هؤلاء اليهود"[1].

وفيما نقلت الصحف المقدسية تقارير عن التواطؤ السائد بين بعض مـوظفي دوائـر الطابو والحركة الـصهيونية، فـإن الدولـة العثمانيـة أخطـأت في عـدم تجنيـد الـرأي العـام Public opinion المتميز بقوة انتمائه للدين والدولة في مقاومـة التغلغـل الأجـنبي وحركـة الاستيطان الصهيوني Zionist settlement movement على نطـاق واسـع، وذلـك علـى غرار تجنيدها له في طرد الحكم المصري، كما أخطأت السلطات العثمانية مرة أخـرى، إذ لم تكن العقوبات المتبعة ضد الموظفين والمسؤولين الـذين لم ينفـذوا تعليمـات البـاب العـالي رادعة إلى حد بعيد، ولهذه الاعتبارات، كانـت الأوامـر المتعاقبـة مـن الـسلطان ومتـصرف القدس دون نتيجـة ولا قيمـة لهـا عنـد هـؤلاء المـوظفين الفاسـدين، حتـى أن الـسلطات العثمانية اكتشفت أن موظفي مينـاء يافـا المرتـشين كـانوا يرسـلون تقـاريرهم الـشهرية إلى الوالي ببيانات كاذبة False statements تفيد أن كل اليهود الذين دخلوا فلـسطين خـلال الشهر قد عادوا من حيث أتوا[2].

---

(1) راجع، قناة الجزيرة، برنامج أرشيفهم وتاريخنا، الحلقة الثالثة بتاريخ 13/ 2/ 2009
.http://www.aljazeera.net/NR/exeres/CE5F44EC-9718-499E-A071-EE039B48C40A

(2) المركز الفلسطيني للإعلام
.http://www.palestine-info.info/arabic/alquds/others/alquds_book/2nd.htm

العهد الذهبي لنهب الأراضي في فلسطين

كـــان عهـــد الاتحـــاد والترقـــي İttihad ve Terakki Cemiyeti [1] (1909 – 1918) هو العهد الذهبي بالنسبة لنهب اليهود لأراضي فلسطين؛ لا سيما وأن بعض قادة الانقلاب كانوا قد درسوا في مدرسة الإليانس اليهودية في سالونيك [2] Thessaloniki وهناك وثيقة تشير إلى نوع واضح من التساهل مع تملك أجانب للأراضي الفلسطينية مع السماح لهم بتشجيرها وزراعتها مع العلم أنها ستسكن من قبل اليهود. كما نجد تقريراً أعدته دائرة المخابرات العمومية في وزارة الداخلية العثمانية ورفعته إلى مقام الصدارة السامي بتاريخ 21 من يناير/ كانون الثاني عام 1912 حول طلب تلقته الخارجية العثمانية من السفارة الألمانية في اسطنبول Istanbulويتعلق بإجراء المعاملة الفراغية للأرض المعدة للبناء الكائنة في مدينة حيفا Haifa والتي يرغب بشرائها الدكتور أورباخ وهو من التابعية الألمانية من مواطنه كريك كيلر، تبين الوثيقة أن السفارة الألمانية أوضحت في طلبها إلى الخارجية العثمانية أن الحكومة المحلية تمانع إجراء هذه المعاملة وأن هذه الممانعة مغايرة لأحكام بروتوكول استملاك الأملاك، وهكذا توصي الخارجية بجواز إجراء المعاملة على اعتبار أن اليهودي الألماني من قدامى الساكنين رغم أنه قدم إلى فلسطين منذ عامين ونصف فحسب [3].

---

(1) حركة سياسية كانت توجّه مقدرات الدولة العثمانية وتدير شؤونها منذ الانقلاب الدستوري عام 1908م حتى هزيمة الدولة في الحرب العالمية الأولى وتوقيع معاهدة مودروس Modrus عام 1918م. تأسست عام 1894، راجع الموسوعة العربية

http://www.arab-

.ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=1479

(2) محمد عيسى صالحية: مدينة القدس، مرجع سابق، ص 25.

(3) راجع، قناة الجزيرة، برنامج أرشيفهم وتاريخنا، الحلقة الثالثة بتاريخ 13/ 2/ 2009

.http://www.aljazeera.net/NR/exeres/CE5F44EC-9718-499E-A071-EE039B48C40A

ولما كان زعماء اليهود يدركون مدى التغير الذي أصاب الدولة العثمانية، فقد أُفِد كل من جاد فرومكن والحاخام أريه ليب وديفيد بن غوريون وإسحاق بن زفي وديفيد ريميز وموشيه شاريت إلى استانبول بحجة إكمال الدراسة العليا في معاهد استانبول، والحقيقة أنهم جاءوا ليكونوا على اتصال بصناع القرار Decision-makers في العهد الجديد، وليمارسوا نشاطاً في السياسة العثمانية ولقد سعوا بدعم أثرياء اليهود لتأسيس شركة بنك المشرق البريطاني وكانت غطاءً للمركز الصهيوني في استانبول[1].

وقد لعب أحمد رشيد بك متصرف القدس العثماني دوراً كبيراً في السماح للكثير من اليهود في تلك الفترة وخاصة بين 1904 – 1906 في دخول فلسطين إذ أنه كان يؤيد الهجرة علانية برغم قرارات الحظر[2]، وفي خطبة لمهدي بك الألباني الذي عين متصرفا على القدس في 1912 في مستعمرة "مستوطنة" عيون قارة قال " إنكم قد سمعتم ولا شك بما يذيعه البعض من أن الحكومة تعارض دائماً الصهيونيين وتسعى ضدهم وهذا الأمر غير صحيح " وأضاف " نحن الأتراك متأكدين جيدا أن اليهود لم يحضروا لهذه البلاد لغايات سياسية؛ وإنما جاءوا لأنها بلاد آبائهم وأجدادهم، فهي عزيزة عليهم ومقدسة عندهم "[3]. وقد رفعت حكومة الاتحاد والترقي القيود على الهجرة، وعلى تملك الأراضي من تشرين الأول / اكتوبر 1913 وحتى آذار / مارس 1914 وانشئ خلالها عدد من الأحياء مثل قومبانية بيت يسرائيل إضافة إلى حي نسيم يافي خارج السور، مقابل باب العمود[4].

وقد نجحت بريطانيا في الضغط على الدولة العثمانية فاستصدرت قانون "تصرف الأشخاص الحكمية" لعام 1910 الذي أعطى الشركات حق التملك والتصرف بالمتلكات غير المنقولة، وتوجت هذه الضغوط عام 1911 عندما مُنِح الأجانب حق التملك

---

(1) محمد عيسى صالحية: مدينة القدس، مرجع سابق، ص 25.

(2) هند البديري: أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، مرجع سابق، ص 108.

(3) وقد عزل في 15 / 12 / 1912 تلافيا لهبة شعبية من قبل أهالي فلسطين، محمد عيسى صالحية: مدينة القدس، مرجع سابق، ص 26.

(4) راجع الخبر في جريدة فلسطين، العدد 63، بتاريخ، 7 آب / أغسطس 1912، ص 2 – 4.

والتصرف بالأراضي كالعثمانيين تماماً في جميع الأراضي العثمانية ما عدا منطقة الحجاز بلا قيد أو شرط سوى ما يتعلق بالشئون الإجرائية والإدارية[1].

وارتفعت نسبة اليهود إلى العرب في فلسطين إلى 9.7 ٪ في سنة 1914م، لتستمر في الارتفاع لتصل مقارنة بعرب فلسطين إلى 35.1 ٪ قبيل سنة 1948م وفي حين أن مجموع ما كان يحوزه اليهود من أراضي فلسطين قبل سنة 1914م لا يتجاوز 1.5 ٪، ارتفعت هذه النسبة لتصبح 5.67٪ قبيل سنة 1948م، وبينما كان مجموع عدد المستعمرات "المستعمرات "المستوطنات" على عهد السلطان عبد الحميد عام 1907م لا يتجاوز 27 مستعمرة "مستوطنة" في فلسطين كلها، ارتفع هذا العدد ليبلغ 47 مستعمرة "مستوطنة" عام 1914م، ثم 71 مستعمرة "مستوطنة" عام 1922م، وفي عام 1944م قفز العدد إلى 259 مستعمرة "مستوطنة"، ليصل إلى 277 مستعمرة "مستوطنة" قبيل إعلان دولة "إسرائيل" عام 1948م[2].

جدول رقم(1)

يبين تقسيم الأراضي في فلسطين حتى عام 1918 م[3]

المالك وطبيعة الأراضي	المساحة بالدونم	النسبة
أراضي مسجلة باسم الدولة (أميرية)	12.000.000	٪42.9
أراضي مسجلة باسم الملاك العرب	13.673.032	٪52
أراضي مسجلة باسم اليهود	650.000	٪2، 5
أنهار وبحيرات	704.000	٪2.6
المجموع	27.127.032	٪100

(1) هند البديري: أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، مرجع سابق، ص 27 – 38

(2) راجع، غازي فلاح، إسرائيل والأرض الفلسطينية. مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 42 (ربيع 2000)، ص 67.

(3) المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات

http://www.malaf.info/?page=show_details&Id=12&table=table_141&CatId=162.

ويتضح من هذه الأرقام أن أملاك الدولة تشكل 42.9٪ وهذه النسبة تشير إلى قلة اهتمام الدولة العثمانية The Ottoman State بتوزيع الأراضي على الفلاحين وكان طبيعيا أن تبقى هذه النسبة كما هي في عهد الانتداب البريطاني British Mandate فلا ينتظر من الحكومة المنتدبة أن تهتم بتوزيع هذه الأراضي على الفلاحين فتحولت ملكية جزء منها إلى اليهود. أما فيما يتعلق بالأراضي التي انتقلت لليهود حتى عام 1918م كان معظمها من الدولة والملاك الكبار غير الفلسطينيين أما الفلاحون والإقطاعيون الفلسطينيون بشكل عام فلم يبيعوا إلا جزءا قليلاً من أراضيهم رغم الإغراءات المادية التي عرضت عليهم من قبل اليهود[1].

كما كان اليهود يعملون على شراء الأراضي من إقطاعيين لبنانيين وسوريين مثل آل سرسق وتيان، وتويني، ومدور، وكان هؤلاء الإقطاعيون يملكون هذه الأراضي الفلسطينية عندما كانت سوريا ولبنان والأردن وفلسطين بلداً واحداً تحت الحكم العثماني يُسمى بلاد الشام أو سوريا الكبرى [2]. ومن الجدير بالذكر أن آل سرسق اللبنانيين هم الذين اشتروا مساحة 400.000 دونماً دونماً (أربعمائة ألف دونم، وهي من أخصب الأراضي الفلسطينية) في سهل مرج ابن عامر (عيمق يزراعيل) [3] بثمن بخث وبالرشوة Bribery، مستغلين ضعف الفلاحين، ثم ما لبسوا أن باعوه إلى اليهود مقابل الربح الوفير وطرد أصحابه الشرعيين منه لأنهم – آل سرسق – لم يكونوا من سكان فلسطين وكانوا يقيمون في باريس في ذلك الوقت، وعملاؤهم ووكلاؤهم هم الذين يصرفون الأمور[4].

---

(1) المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات
http://www.malaf.info/?page=show_details&Id=12&table=table_141&CatId=162

(2) راجع، خالد الخالدي: بيع الفلسطينيين أرضهم لليهود حقيقة أم خيال؟!، المركز الفلسطيني للإعلام
http://palestine-info.info/arabic/qadhya/baya.htm.

(3) دان ياهف: مائة وعشرون عاما من الصراع الصهيوني – الفلسطيني، مرجع سابق، ص 9.

(4) بكر مصباح تنيره: المجتمع الفلسطيني قبل بدء موجات الهجرة الصهيونية، ضمن كتاب الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، ج1، معهد البحوث والدراسات العربية، 1975، ص 95.

والجدير بالذكر أن ثمة مقاومة تمت من جانب الفلسطينيين وقام بعض الفلاحين بمهاجمة موظفي المساحة وفاوضوا آل سرسق لشراء الأرض، ولكن الصفقة تمت رغم أنف الفلاحين [1]، وأنشأ اليهود في مرج ابن عامر على أراضي القرية العربية "الفولة" مستعمرة مرحافيا، وهي المستعمرة "المستوطنة" التعاونية اليهودية الأولى في مرج ابن عامر[2].

كما قام اليهود العثمانيون الذين لهم الحق في شراء الأراضي، بالتواطؤ مع اليهود الأجانب فكانوا يشترون الأرض من المواطنين ويبيعونها لهم أو يقترضون من القنصليات ومن اليهود أموالا بالتواطؤ ويبيعون هذه الأرض على أنهم لا يستطيعون سداد هذه الديون ويعطونها الأرض مقابل هذه الديون"[3].

"القضية الخفية"

وحينما كانت مسألة انتهاب الأراضي Land grab من قبل الحركة الصهيونية تثير معارضة بين الفلاحين الفلسطينيين الذين يطردون من أرضهم من قبل ملاك أراض غائبين، وجدنا اسحق ابشتاين[4] (1862–1943) Yithak Epstein يكتب مقالة عنوانها

---

(1) واصف منصور: مسألة اللاجئين جوهر القضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص 73.

(2) خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه (1908 – 1918) منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت 1973، ص 57.

(3) راجع، قناة الجزيرة، برنامج أرشيفهم وتاريخنا، الحلقة الثانية بتاريخ 5/ 2/ 2009
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/F0E19CBF-C299-4A9A-AFE7-3A2AF187F207.

(4) اسحق ابشتاين (1862 – 1943): كاتب صهيوني وتربوي ومتخصص في اللغة العبرية. وُلد في بيلوروسيا ونشأ في أوديسا. سافر عام 1886 إلى فلسطين على نفقة البارون روتشيلد. وأمضى 6 سنوات في مستوطنتي زخرون ياكوف وروش بينا. سافر إلى سويسرا حيث درس في لوزان وبعد حصوله على الشهادة من الجامعة هناك، سافر إلى اليونان حيث عمل مديراً لمدرسة الأليانس في سالونيكا بين عامي 1908 و1915، وفي عام 1919، عاد إلى فلسطين وعمل مديراً لمعهد لفنسكي

"القضية الخفية" انتقد فيها، بشدة، سياسة وممارسات الحركة الصهيونية تجاه الفلسطينيين، وخاصة وسائل انتزاع الأرض من الفلسطينيين وطردهم منها. ووجه انتقاداً لاذعاً إلى القيادة الصهيونية التي "شغلت نفسها في مسائل عليا"، بينما "مسألة الموجود في فلسطين، بعمّاله وفلاحيه وسادته الحقيقيين، لم تُثر، عملياً، ولا نظرياً؛ وذلك لأن القادة الصهيونيين يتجاهلون أنه "يوجد في البلاد شعب كامل يتمسك بها منذ مئات السنين، ولم يدر في خلده أن يغادرها إطلاقاً [1].

ثلاثية التواطؤ والضعف والأطماع

لقد عرفت الصهيونية بحق استغلال ثلاثية تواطؤ الاستعمار وضعف العرب وأطماع اليهود، وبكفائة نادرة المثال وقد **أفاد المهاجرون الجدد من الثغرات في القوانين والإجراءات،** كما استغلوا فساد الموظفين بالرشاوى، واستندوا إلى دعم قناصل الدول الأوروبية، للالتفاف على أوامر السلطة العثمانية المركزية بحظر تلك الهجرة وامتلاك أعضائها الأراضي للاستيطان. وفي الواقع، فإن قناصل الدول الأجنبية كثيرًا ما احتجوا على القيود المفروضة على هجرة اليهود إلى فلسطين، واعتبروها خرقاً للامتيازات Capitulations التي تتمتع بها دولهم. وعبر تدخل هؤلاء القناصل، كثيرا ما رضخ الموظفون العثمانيون للضغوط وعلى الرغم من القوانين الصادرة بمنع بيع الأراضي للمهاجرين الجدد، فقد استطاع هؤلاء، وعبر السماسرة، أو **عن طريق العقود الوهمية،** من ابتياع مساحات من الأراضي لإقامة المستعمرات[2]. وبنسبة عالية جداً، كانت تلك الأراضي تخص ملاكين غائبين [3].

للمدرِّسات في تل أبيب حتى 1923. وكان يدعو في نهاية حياته إلى التعاون بين العرب واليهود. موسوعة اليهود واليهودية، ج6، ص 317

(1) راجع، اسحق ابشتاين، "المسألة المجهولة"، هشيلواح، العدد ج، المجلد 17، السنة 1907.

(2) راجع، هند البديري: أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، مرجع سابق، ص 163.

(3) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(1882 –1914) ، موقع عرب 48
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

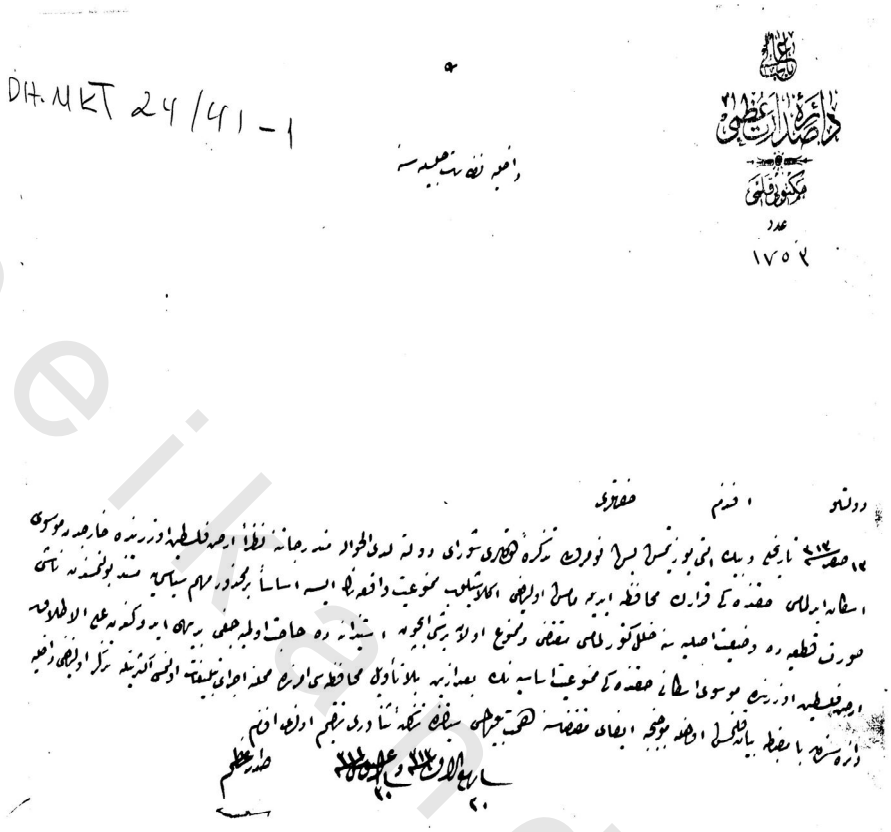

برقية حكومية عثمانية تطالب بعدم السماح ببيع الأملاك والأراضي لليهود الأجانب في ولايتي سورية وبيروت ومتصرفية القدس، وإلغاء معاملات الفراغ، وعدم السماح لاستيطان المهاجرين اليهود في أراضي فلسطين[1]

كما قام بعض السماسرة Realtors – مثل خانكين – سمسار الشركات اليهودية بالاستيلاء على معظم الأراضي الخصبة في قرية كفر سابا العربية مستخدماً أساليب

(1) DH.MKT 24/411313 .R.25

مركز المخطوطات والوثائق المقدسية
http://alqudsmanuscript.com/index.php?option=com_docman&task=doc_details&gid=36&Itemid=60

العنف والقوة في عملياته التي تمكن من خلالها وبحماية البوليس البريطاني من احتلال نحو 5000 دونم[1].

رد الفعل

أدرك عرب فلسطين The Arabs of Palestine خطر الهجرة اليهودية إلى بلادهم منذ أن اتخذت شكلاً منظماً في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ونشأ صدام بين الفلاحين العرب وسكان المستعمرات اليهودية Jewish settlements وهو الأول من نوعه في مطلع الثمانيات من القرن التاسع عشر وأرسل عدد من أعيان القدس عريضة إلى الباب العالي سنة 1891 يطالبون بوقف الهجرة اليهودية ومنع اليهود من امتلاك الأراضي[2].

وإزاء فشل الإجراءات العثمانية في إيقاف الهجرة اليهودية، وبالتالي، ازدياد النشاط الصهيوني الاستيطاني، برزت المقاومة Resistance المحلية لهذه الظاهرة. وإذ لم تكن المقاومة منسقة ومنظمة، فإنها تفجرت بصورة عفوية، وبالتواكب مع عمليات شراء الأراضي من الملاكين الغائبين وطرد الفلاحين Expulsion أو المرابعين منها، وإقامة المستعمرات عليها. وكان كلما توسعت عملية الاستيطان وانتشرت في الريف، عمت المقاومة واتسع نطاقها. فشراء الأراضي عبر السماسرة، وفي صفقات مشبوهة وسرّية، جعل المواجهة حتمية بين الفلاحين المقيمين عليها والمستعمرين "المستوطنين" الذين عمدوا إلى طردهم منها،وبالتالي، قطعوا عنهم أسباب معيشتهم فجأة، ومن دون سابق إنذار. فكان طبيعياً أن يقاوم الفلاحون هذه الظاهرة، ويعمدوا إلى العنف في مواجهة لجوء المستعمرين "المستوطنين"، الذين تدعمهم السلطة، إلى إجلائهم بالقوة[3].

---

(1) هند البديري: أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، مرجع سابق، ص 218.

(2) المركز الفلسطيني للتوثيق: الحركة الوطنية الفلسطينية قبل عام 1948
http://www.malaf.info/?page=ShowDetails&Id=14&table=table_141&CatId=162

(3) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(1882 –1914) ، موقع عرب 48
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

وكانت يد السلطة ثقيلة على الفلاحين في تنفيذ العقود المشبوهة، وخفيفة على المستعمرين "المستوطنين" في تنفيذ أوامر الدولة وتعليماتها. وكما اصطدم المستعمرون "المستوطنون" مع الفلاحين، كذلك الحال مع القبائل البدوية التي حرمت من مراعي قطعانها. وقام الطرفان – الفلاحون والبدو – ومن دون تنسيق، بعمل متكامل في مهاجمة المستعمرات وحرق المزارع، وتخريب المرافق. وتنضح يوميات المستعمرين "المستوطنين" الأوائل بأخبار هذه المقاومة، التي يسمونها أعمال نهب وتخريب Looting and sabotage [1].

كانت سياسة استيلاء اليهود على الأراضي من السكان المحليين بصور وأساليب غير شرعية تهدف إلى تفريغ الأرض من سكانها الأصليين Dump the land of its inhabitants قد أدى في نهاية الأمر إلى بروز حركة المعارضة السياسية الفلسطينية للمخططات اليهودية وجدير بالذكر أن مؤسسات الشعب الفلسطيني بأكملها شاركت في عملية فضح المؤامرة، ومنذ المراحل الأولى المبكرة لها. فقد حدثت اصطدامات بين الفلاحين الفلسطينيين وبين المستعمرين "المستوطنين" اليهود 1886م، خاصة مع مستعمرة (بتاح تكفاه) على خلفية طرد فلاحي قريتي الخضيرة[2].

وعندما جاء رشاد باشا متصرفاً للقدس وأبدى محاباة للصهاينة قام وفد من وجهاء القدس بتقديم الاحتجاجات ضده في مايو 1890 وقام وجهاء القدس في 24 يونيو 1891 بتقديم عريضة للصدر الأعظم (رئيس الوزراء)في الدولة العثمانية طالبوا فيها بمنع هجرة اليهود الروس إلى فلسطين وتحريم استملاكهم للأراضي فيها[3] وقام علماء فلسطين وممثلوها لدى السلطات العثمانية بالتنبيه على خطر الاستيطان اليهودي والمطالبة

---

(1) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(1882 –1914) ، موقع عرب 48
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

(2) عوني فرسخ: التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 213.

(3) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط9، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1985، ص41–42.

بإجراءات صارمة لمواجهته. وترأس الشيخ محمد طاهر الحسيني مفتي القدس سنة 1897 هيئةً محلية ذات صلاحيات حكومية للتدقيق في طلبات نقل الملكية في متصرفية بيت المقدس، فحال دون انتقال أراض كثيرة لليهود.

وفي سنة 1899 نشر هنري لامانس[1] اليسوعي مقالا في مجلة المشرق، استعرض فيه المستعمرات اليهودية وتاريخ نشأتها، والجمعيات والأفراد الذين يمثلونها. وحذر من أطماع اليهود في فلسطين وشرق الأردن[2].

وكان للشيخ سليمان التاجي الفاروقي[3] الذي أسس الحزب الوطني العثماني في سنة 1911 دوره في التحذير من الخطر الصهيوني، وكذلك فعل يوسف الخالدي، وروحي الخالدي، وسعيد الحسيني ونجيب نصار[4] وشكري العسلي نائب دمشق الذي عرف بمواقفه الشجاعة والحازمة بحيث شجع النواب الآخرين على انتقاد سياسات حكومة الاتحاد والترقي وتميز العسلي بتصديه القوي لعمليات بيع الأراضي وبخاصة الصفقة التي عقدتها اسرة سرسق مستخدما في ذلك كل الوسائل القانونية والإجرائية إلا

---

(1) ولد هنري لامنس عام 1862م في بلجيكا واتخذ لبنان موطنًا ودرس في الكلية اليسوعية ببيروت، واشتغل بالتدريس فيها 1886م وتخصص في تاريخ الشرق الأدنى وحضارة أهله ,وأتقن اللغة العربية وعين أستاذًا بمعهد دراسات الشرق الأدنى في الكلية اليسوعية ببيروت، وتوفي في مايو 1937م للمزيد راجع، أنور محمود زناتي: زيارة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو المصرية، 2006 م.

(2) عوني فرسخ: التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 215.

(3) صحافي، محامٍ، شاعر، ولد في الرملة وخلال ثورة العرب على الأتراك، جادت قريحة الفاروقي بطائفة من القريض، أبرز فيها فضل العرب وأمجادهم، ودعاهم إلى تحقيق المطامح القومية العربية، والمحافظة على اللغة العربية، وكان يذيل هذا القريض بتوقيع "بدوي فلسطين.راجع، السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين ص50،، والموسوعة الفلسطينية: ج2 ص586، ويعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ص502.

(4) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين، مرجع سابق، ص43-67.

أن عميد أسرة سرسق في بيروت استغل علاقته بالوالي العثماني وتم نقل العسلي من منصبه ومرر إبرام الصفقة[1].

وفي نفس العام 1911 صدرت صحيفة فلسطين[2] لعيسى العيسى[3] وقد شاركت الصحيفة أيضاً في حملة التوعية، كما شاركت في ذلك صحف المفيد والرأي العام والحقيقة البيروتية والمقتبس الدمشقية[4].

---

(1) عوني فرسخ: التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 219.

(2) جريدة فلسطين: من أهم الجرائد الفلسطينية وأكبرها انتشارًا، وقد أصدرها عيسى داود العيسى في مدينة يافا عام 1911، وكانت في اول عهدها اسبوعية صغيرة، ثم اخذت تظهر مرتين في الاسبوع، ثم تحولت إلى جريدة يومية بثماني صفحات فيما بعد، ثم تطورت حتى أصبحت من اهم الجرائد الفلسطينية. وتعتبر هذه الجريدة التي استمرت في الصدور حتى عام 1967، من أرقى صحف فلسطين، واستطاعت بفتح صفحاتها للادباء والكتاب، ان تعكس صورة صادقة عن الحياة الادبية والثقافية في فلسطين. صدرت جريدة فلسطين بين السنوات 1911–1967، وكانت من أكبر الصحف الفلسطينية وأغزرها مادة، واكثرها انتشاراً وتمثيلاً للرأي العام الفلسطيني. كانت تقرأ في مدن فلسطين وقراها، وتوزع أعدادها في الخارج، للمزيد راجع، عمر أمين مصالحة،: من أرشيف الصحافة: نشأة صحيفة "فلسطين" في العهد التركي1911-1967 ، 2006.

(3) ولد عيسى العيسى في مدينة يافا، وقد اشتهرت أسرته بعطائها للامة العربية في فلسطين، كانت اول صحيفة عربية صدرت، مجلة "الاصمعي" للمرحوم حنا العيسى. والآن هناك صحيفتان كبيرتان يحررهما اثنان من آل العيسى، الاولى جريدة "الف باء" الدمشقية لصاحبها الاستاذ يوسف العيسى، وجريدة "فلسطين" اليافية لصاحبها عيسى داود العيسى. تربى العيسى في مدارس فلسطين الابتدائية، ثم درس بعد ذلك بضع سنين في جامعة بيروت الاميركية، عمل استاذًا في مدارس القدس، اثناء عمله استاذاً تعرف على خليل السكاكيني، ولعل هذا الامر يغنينا عن القول الكثير في وصف العيسى ومبادئه، راجع، عمر أمين مصالحة،: من أرشيف الصحافة: نشأة صحيفة "فلسطين" في العهد التركي (1911 – 1967)، 2006.

(4) علي محافظة: الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 1918 – 1948،مركز الكتب الأردني، عمان 1989، ص 22.

وينقل ديفيد هيرست عن ولتر لوكير أن الصهاينة كانوا في سنة 1911 يتساءلون علنا عما إذا كان في المستطاع اقناع عرب فلسطين بالهجرة الى البلاد العربية المجاورة حيث يمكنهم شراء أراض جديدة بثمن ما يبيعون من أراضيهم في فلسطين؛ بل إن الصهاينة فكروا في أن يقوموا هم بشرائها لهم[1].

جريدة الكرمل تكشف المؤامرة مبكراً

وقد شاركت الصحف أيضا في فضح المؤامرةExpose the conspiracy كالكرمل وفلسطين والدفاع والجامعة العربية؛ فعندما أقدمت السلطة العثمانية على بيع الأراضي للمنظمات اليهودية مثل الصندوق القومي اليهودي (Keren Kayemet أبرزت "الكرمل"[2] بشكل لا يقبل الجدل سياسة السلطة العثمانية ثم من بعدها الانتداب البريطاني British Mandate لتمليك اليهود أراضي فلسطينية فكتب نجيب نصار[3]

---

(1) ديفيد هيرست: البندقية وغصن الزيتون، جذور الصراع في الشرق الأوسط، ترجمة عبد الرحمن إياس بيروت، رياض الريس للكتب والنشر 2003، ص 291.

(2) الكرمل صحيفة فلسطينية أسّسها نجيب نصار في حيفا عام 1908، ترافق إصدار الصحيفة مع إعلان الدستور العثماني عام 1908، والذي اقتضى بإعطاء قدر يسير من الحرّيات للولايات و ضمن ذلك حرية الصّحافة و الرأي و السماح بتأسيس أندية و جمعيات،، راجع، عبد الوهاب الكيالي تاريخ فلسطين الحديث ص 54، وعيسى السفري" -فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، جزءان/ يافا 1937.

(3) نجيب نصار شيخ الصحافة الفلسطينية ومؤسس صحيفة" الكرمل" ولد نجيب نصار في لبنان عام 1873، درس في الجامعة الأمريكية في بيروت، فرع الصيدلية والعلوم السياسية أتاحت الفرصة لنجيب نصار أثناء عمله في مدينة طبريا والقدس الإختلاط المباشر بالمهاجرين اليهود الذين سكنوا في مناطق الجليل والقدس تعرف نصار الى المخطط اليهودي، والى فكرة إقامة الدولة اليهودية على إرض فلسطين بحسب جدول زمني منظم، فكان هذا الامر دافعاً اساسياً إلى تأسيسه جريدة "الكرمل " الحيفاوية وأسس نصار الكرمل لغاية واحدة فقط هي الكتابة ضد اليهود في فلسطين حتى لا يستمر العرب في بيع أراضيهم لليهود، راجع، عبد الوهاب الكيالي تاريخ فلسطين الحديث، ص 54.

يقول[1] " في نـابلس قامـت في تمـوز / يوليـو 1913 مظـاهرة ضـد اعتـزام الـسلطات بيـع أراضي بيسان التابعة للدولة للمنظمة الصهيونية، كمـا أرسـل المزارعـون في سـهل بيـسان برقيات احتجاج على بيع أراضيهم"، ودعـت الكرمـل الى حتميـة "تنظـيم العمـل والجهـود كانت ذات اثر فعال في التمهيد لظهور جمعية مكافحة الصهيونية الـتي اتخـذت مـن نـابلس مقرها الرئيسي مع اقامة فروع لها في بعض المدن الفلسطينية الأخرى".

وكتب فرانسس إملي نيوتن[2] في كتابه "خمسون عاماً في فلسطين": "بـدأت أفـتح عـيني على الصهيونية من مقالات تنـشر في الكرمـل عـن إقبـال اليهـود علـى شـراء الأراضـي وانشاء المستعمرات"[3].

صفحات جريدة الكرمل

(1) الكرمل: 12 / 8 / 1913 – و 19 / 9 / 1913.

(2) الكرمل: 3/ 9/ 1913.

(3) Frances Emily Newton- Fifty Years in Palestine,(London: Cold Harbour Press, 1948) P.31 .

وكتب يوسف زمريق من بيسان في الكرمل: "أراضي بيسان رخيصة في ثمنها، غالية في مواردها، عظيمة في موقعها وأهميتها. فالدونم الواحد منها يباع بجنيهين الى ثلاثة جنيهان ونصف وهو يدر من الأرباح أضعاف أضعاف ثمنه، بصرف النظر عن أنه يبقى ذخيرة ثمينة محفوظة لصاحبه يؤمن حياة عائلته وأبنائه من بعده. كل دونم أرض في غور بيسان حصن من حصون القومية العربية"[1].

كانت "الكرمل" دوماً المنادية الى بقاء الوطن كاملاً وأن تظل اليقظة امام أعين سكان البلاد، هذه اليقظة التي تعرقل عمل تجار الأراضي وعمل (كيرين كايميت(التي كانت تشتري الأراضي لحساب الوكالة اليهودية وفي أحد الأعداد قالت "يبدو لنا أن الحركة الصهيونية تتقدم بانتظام ونحن نتقهقر ونطبق حركة تقهقرنا على النظام"[2].

وقد جرى التعبير عن القلق بشكل واضح، عندما أوصى رجل نابلسي في جريدة "فلسطين" بإقامة شركة، يساهم فيها أعيان من جميع المدن الرئيسية في فلسطين: القدس، يافا، حيفا، غزة، ونابلس. وعلى الشركة شراء الأراضي الحكومية والأراضي المزروعة لإنقاذها من أيدي الصهيونيين. واقترح الكاتب أن تسمى الشركة باسم جدير بالإشارة "شركة وطنية فلسطينية"[3].

وجريدة فلسطين – السابق ذكرها - الذي نشر صاحبها عيسى داود العيسى سلسلة مقالات عام 1914 كانت ترجمة لكتاب "البروغرام الصهيوني السياسي" للمؤرخ الصهيوني أبراهام اوستكين" الذي تضمن أهداف السياسة الصهيونية للاستيلاء على فلسطين، وتحليل الوسائل والأساليب وربطها بالغايات، وأحدثت ترجمة هذا الكتاب أثراً قوياً في إدراك الخطر الصهيوني وقد رفعت مسألة الخطر الصهيوني إلى مجلس المبعوثان في العاصمة العثمانية، وتولى رفعها أبناء فلسطين النواب في المجلس وهم: روحي الخالدي

---

(1) الكرمل: 3/ 9/ 1913.

(2) الكرمل: 3/ 1/ 1913.

(3) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(1882 –1914) ، موقع عرب 48
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

وسعيد الحسيني وراغب النشاشيبي ونائب دمشق شكري العلي، وطالب هؤلاء النواب بسن تشريع يمنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين، وقد ساعدت إثارة مسألة الخطر الصهيوني إلى إنشاء "الحزب الوطني العثماني" بهدف توجيه كل الجهود نحو معارضة قانونية للصهيونية وتذكير الحكومة بواجباتها[1].

وأشارت جريدة فلسطين إلى الخطر المحدق بالبلاد قائلة " أنه ما دام الصهيونيون يستولون على البلد قرية قرية فغداً تباع القدس بأجمعها وفلسطين بكلها، فإذا لم نتدارك الأمر كان حظ الدولة فيها حظها في طرابلس الغرب أو ربوع البلقان"[2]. وقد أسهم عارف العارف بكتابة مقالات ضد الصهيونية في الصحافة العربية الفلسطينية. وعلى سبيل المثال، في كانون الثاني/ يناير من عام 1913 ادعت صحيفة" فلسطين" رداً على عدد من استملاكات الأرض الجديدة على يد اليهود، فكتب يقول " إذا استمر هذا الوضع، فسوف يسيطر الصهيونيون على بلادنا، قرية بعد قرية، ومدينة بعد مدينة؛ فغداً ستباع القدس كلها، وبعدها فلسطين كاملة ".

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1913 أعرب سيف الدين الخطيب في "الكرمل" عن دهشته من أن وطنياً عربياً أيّاً كان، يمكنه التفكير في "التفاهم" مع الصهيونيين .مواقف القوميين الشباب الآخرين في فلسطين ليست معروفة. إلا أنه من المعقول الافتراض أنهم توافقوا مع ابن جيلهم "خليل السكاكيني" الذي كتب في يومياته بتاريخ 23شباط/ فبراير1914: "ما يثير اشمئزازي هو هذا المبدأ الذي اعتمدته الحركة (الصهيونية) وهو استعباد (حركة قومية) لأخرى من أجل تعزيز قوتها الذاتية، وكذلك تعمدها إبادة Genocide أمة كاملة من أجل أن تحيي ذاتها، وكأنما هي بذلك تحاول سرقة استقلالها من

---

(1) للمزيد راجع، بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، 1917 – 1948، سلسلة الدراسات، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 1983، ص 44 المركز الفلسطيني للتوثيق: الحركة الوطنية الفلسطينية قبل عام 1948
http://www.malaf.info/?page=ShowDetails&Id=14&table=table_141&CatId=162

(2) فلسطين: 25/ 1/ 1913.

الأخرى، وانتزاعه بالخداع من يد القدر ...وهذا الاستقلال المشترى بالمال ومن خلال انتهاز الفرصة التي تستدعيها الغفلة، والعجز وبلادة الحواس لدى الأمة الأخرى، هو استقلال هشّ، أساسه بالمرض. ماذا سيفعل اليهود، إذا استيقظ الشعور القومي للأمة العربية، كيف يستطيعون الصمود(في مواجهة العرب)؟ وبعد عدة أيام ادّعى: "حق (اليهود) في فلسطين عفى عليه الزمن؛ وحقنا حيّ ولا يمكن الطعن به "[1].

وفي سنة 1913 قام جورجي زيدان – مؤسس دار الهلال في القاهرة – بجولة في ربوع فلسطين، اطلع خلالها على النشاط الصهيوني / وكتب سلسلة مقالات في الهلال، نوه فيها بقدرات وامكانيات الصهاينة المالية والإدارية، كما نبه إلى الخطر المحدق بمستقبل الشعب العربي في فلسطين[2].

ووجدنا أيضاً صحيفة المنادي [3] – التي أسسها سعيد الجار الله [4] – توجه نداء تحت عنوان (إلى مأمور الطابو) طالبت فيه مأمور طابو القدس بالكشف عن الوسيلة التي جرى فيها نقل ألف دونم من أراضى قرية صور باهر إلى الحركة الصهيونية في حين أنها ملك للوقف. وقد استغل اليهود فترة انشغال الدولة العثمانية The Ottoman State في الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918) فاحتلوا أراضي من الفلسطينيين حتى بلغ مجموع ما حازوه بين 1914–1917 (581، 363) دونم وهكذا أصبح إجمالي ما حاز اليهود من أراض في فلسطين حتى نهاية الحكم العثماني وبداية الاحتلال البريطاني عام 1917

---

(1) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(1882 –1914) ، موقع عرب 48
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

(2) عوني فرسخ: التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 220.

(3) بتاريخ 7/ 12/ 1913م.

(4) عوني فرسخ: التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 219.

(245ر581 دونم) [1]. ويؤكّد (روجيه جارودي): أن الصهاينة أيام وعد بلفور Balfour Declaration 1917م كانوا لا يملكون إلاّ 2.5٪ من الأراضي[2].

ونجد أيضاً أحمد العارف (والد عارف العارف) - الذي فاز في انتخابات 1912، إلا أنه هزم في 1914-، قال لمحرر"الإقدام" " موضوع أحاديث سكان فلسطين الوحيد حالياً. .هو مسألة الصهيونية. الجميع يخشاها ويخافها ــ والمسألة الصهيونية، وإن كانت في الظاهر اقتصادية، إلا أنها، في الحقيقة سياسية هامة. ولو طالعنا تاريخ الشعوب القديمة والأراضي التي فقدتها / فإننا نتأكد من أن جميع الأحداث السياسية قامت على أسس اقتصادية. والحكومة تنظر إلى الصهيونية على أنها مسألة اقتصادية. إلا أنه ما من شك في أنها عاجلا أم آجلا، ستتأكد أن المسألة سياسية هامة. وستجري، لامحالة تغيرات وتبدلات في جغرافية فلسطين – إذا استمر الأمر على هذا النحو في المستقبل. ونشاط الصهيونيين للحفاظ على لغتهم، عاداتهم ومواطنيتهم – يؤكد استنتاجي هذا" [3].

وفي 8 تشرين الثاني / نوفمبر 1913، نشر الشيخ سليمان التاجي الفاروقي في صحيفة " فلسطين" قصيدة سياسية، تعبر عن ذاتها: "الخطر الصهيوني". كان المؤلف شيخاً ضريراً من الرملة، صاحب أملاك في محيط يافا، ورد ذكره في 1911 كعضو هام، سواء في "الحزب الوطني العثماني" أو في "الجمعية الاقتصادية التجارية" في يافا. وكان مطلع القصيدة في صحيفة "فلسطين": "أبناء الذهب الرنان، توقفوا عن خداعنا" وفي استكمال القصيدة طور الفاروقي في لهجة لاسامية عتيقة، بحسبها يملك اليهود أموالاً طائلة، وبواسطتها يستطيعون فرض إرادتهم على شعوب ساذجة وغير واعية[4].

---

(1) هند أمين البديري: فلسطين وأكذوبة بيع الأراضي، جريدة الأهرام، ع -41437، 19-5-2000م

(2) عيسى القدّومي: فلسطين وأكذوبة بيع الأرض. مركز بيت المقدس للدراسات التّوثيقيّة، ص 51

(3) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(1882 -1914) ، موقع عرب 48
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

(4) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(1882 -1914) ، موقع عرب 48
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

والجدير بالذكر أنه ما من مستعمرة يهودية قامت في فلسطين، ومنذ البداية من دون صراع مع جوارها من الفلاحين والبدو. والدعاية الصهيونية الموجهة، الرامية إلى تغييب سكان فلسطين الأصليين، لتبرير منح الحركة الصهيونية "البراءة الدولية"، تفضحها محاضر جلسات لجان المستعمرات ومذكرات المستعمرين "المستوطنين" الأوائل، التي أبرزت شكواهم من المقاومة العربية .وهذه الدعاية المضللة والكاذبة تفضحها بصورة صارخة الذرائع والتبريرات التي ساقها المستعمرون "المستوطنون" لإنشاء وحدات عسكرية مسلحة لحماية المستعمرات. كما يدحضها الجدل بين المستعمرين "المستوطنين" الأوائل ورجال الهجرة الثانية، بشان ضرورة استبدال الحراس العرب بمهاجرين يهود للقيام بالدفاع عن المستعمرات أمام هجمات المقاومين العرب. كما تكشف مراسلات القناصل الأجانب زيف هذه الدعاية، إذ دأب هؤلاء على الطلب من السلطنة العثمانية إبعاد الفلاحين العرب عن الأرض بالقوة، وتثبيت المستعمرين "المستوطنين" عليها، وحمايتهم. وفي النص قيد البحث الكثير من الإشارات إلى هذه المقاومة، والكاتب يستند في إيرادها إلى عدد من الأراشيف التي تضم وثائق من تلك الفترة، سواء منها اليهودية، أو التركية، أو الأجنبية، أو حتى العربية. ومن هنا أهمية ترجمة هذه المقالة، الأمر الذي كان الدافع الأساسي للقيام بالعمل لوضعه في متناول القارئ العربي[1].

وحين يجمع كل من هنري لامانس اليسوعي ونجيب عازوري ونجيب نصار وعيسى العيسى وجورجي زيدان، برغم تباين منطلقاتهم الفكرية ومراكزهم الاجتماعية، على رفض الصهيونية، وتفنيد ادعاءاتها، والتحذير من عواقبها، والتنبيه الى مخاطرها، ففي ذلك الدليل القاطع على تناقض المشروع الصهيوني مع العرب مسلمين ومسيحيين، على اختلاف انتماءاتهم [2].

---

(1) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(1882 –1914) ، موقع عرب 48
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

(2) عوني فرسخ: التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 224.

وإضافة إلى الحملة في الصحف، ظهرت كتابات تاريخية وأدبية تحرض العرب على مناهضة الصهيونية. فكتب إسعاف النشاشيبي (1911) كتاب "الساحر واليهودي"، ومعروف الأرناؤوط كتاب " فتاة صهيون" ووضع محمد روحي الخالدي (1911) مخطوطة كتاب "تاريخ الصهيونية"، وأوضح فيه أن الهدف الصهيوني هو إقامة دولة يهودية في فلسطين. وميز الخالدي الصهيونية عن اليهودية، ونبه إلى مخاطر نشاط المستعمرين "المستوطنين" في فلسطين.

وتناول الشيخ محمد رشيد رضا الموضوع في "المنار"، ونبه إلى مخاطر الصهيونية على العرب ومستقبلهم، كما أوضح نجيب عازوري[1]، في مقدمة كتابه "يقظة الأمة العربية"[2] أخطار الصهيونية على الوطن العربي، مشيراً إلى الصراع الدموي الذي سيتولد عن محاولات تجسيد المشروع الصهيوني في فلسطين. وشنّت الصحف التي تأسست في فلسطين في تلك الفترة حملة على النشاط الصهيوني، تكشف مخططاته، ودعت الناس إلى الوقوف في وجهه. وبذلك عمقت الوعي العربي بهذه المؤامرة الدولية، وبأبعادها الخطرة على حاضر الأمة العربية ومستقبلها. وطالبت الصحف الحكومة العثمانية بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين، وتشديد الرقابة على بيع الأراضي. وقد تعرضت تلك الصحف مراراً للإغلاق بأوامر السلطة العثمانية، عقاباً لها على نشر مقالات معادية للصهيونية، وانتقاد سياسة الحكومة إزاء مخططاتها ونشاطاتها. وقد عرض كاتب المقالة مواقف هؤلاء الكتّاب بإسهاب، كما حاول تقديم تقويم موضوعي لمواقف الصحف المختلفة، إلا أنه لم يفلح في إخفاء انحيازا ته الصهيونية في تفسيراته لما ورد في المصادر المتعددة التي استند إليها في كتاباته[3].

---

(1) عمل كمسئول في الإدارة العثمانية بمتصرفية القدس بين عامي 1898 – 1904، راجع، أسعد رزوق اسرائيل الكبرى، مرجع سابق، ص 29.

(2) باللغة الفرنسية، صدر في باريس، وقام بتعريبه وقدم له أحمد أبو ملحم ونشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1978 م.

(3) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(1882 –1914) ، موقع عرب 48
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

كما برز من رجالات فلسطين يوسف ضيا الخالدي وسليمان التاجي الفاروقي وإسعاف النشاشيبي... ممن تحدثوا عن الخطر الصهيوني. وكانت سياسات "التتريك" والمحاباة للصهيونية التي مارستها حكومة الاتحاد والترقي باعثاً رئيسياً لأبناء فلسطين والعرب للانضمام للجمعيات العربية، التي أخذت تطالب بالإصلاح ضمن الدولة العثمانية، مثل حزب اللامركزية والعربية الفتاة وغيرها[1].

وقبل اندلاع الحرب العالمية الأولى زار جورجي زيدان فلسطين، وكتب عن مشاهداته هناك في مجلة "الهلال" 1914. وكذلك كتب إبراهيم سليم النجار في الأهرام 1914، تحت عنوان "الإسرائيليون في فلسطين" كما قام محمد الشنطي، صاحب صحيفة " الإقدام " القاهرية، بجولة في فلسطين، أجرى خلالها مقابلات مع المرشحين للبرلمان العثماني، من أجل التعريف بمواقفهم من الصهيونية. وفي المقابلة مع المربّي خليل السكاكيني 29 / 3 / 1914 قال: "إن الصهيونيين يريدون أن يمتلكوا فلسطين، قلب الأقطار العربية والحلقة الوسطى التي تربط شبه الجزيرة العربية بأفريقيا. وهكذا يبدو أنهم يريدون كسر الحلقة، وتقسيم الأمة العربية إلى جزأين للحيلولة دون توحيدها. فعلى الشعب أن يكون واعياً، إذ أنه يمتلك أرضاً ولساناً. وإذا شئت أن تقتل شعباً فاقطع لسانه واحتل أرضه. وهذا بالضبط ما يعتزم الصهيونيون أن يفعلوه[2].

وبتأثير حملة الصحف، نقل الزعماء السياسيون الفلسطينيون معارضة الشعب إلى البرلمان العثماني والأوساط السياسية الدولية. وفي البرلمان العثماني الجديد 1908، برز موقف المندوبين العرب الموحد من الصهيونية، ومن موقف تركيا الفتاة المتعاطف معها. وأنكرت الحكومة تعاطفها، ولكن المعارضة هاجمتها بشدة 1911 في "مجلس المبعوثان"، مما اضطرها إلى التراجع واتخاذ مواقف أكثر حزماً تجاه نشاط المستعمرين "المستوطنين" اليهود

---

(1) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط9، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985، ص37-67.

(2) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(1882 -1914) ، موقع عرب 48
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

في فلسطين. واستعرض كاتب المقال مواقف المندوبين الفلسطينيين والعرب في البرلمان العثماني، مستنداً إلى الأراشيف التركية في استنبول، كما إلى الصحف العربية من تلك الفترة ومن هنا أهميته[1].

ولكن للأسف رغم ذلك ظلت المقاومة Resistance العربية مبعثرة، وتعاني حالة من الانفصام بين النظرية والتطبيق. فحالة الوعي التي كانت في طور التشكل، والتي تمحورت حول القضية الضاغطة – العلاقة مع الحكم العثماني – مع أنها لم تكن غافلة عن الخطر الصهيوني، وكذلك الوضع السياسي -الاجتماعي للشعوب العربية لدى انطلاق الصهيونية كحركة سياسية، تمتلك مشروعاً استيطانياً قابلاً للتجسد، لم يكن من شأنهما تأهيل الحركة القومية العربية لبناء التنظيم السياسي، وبالشكل المطلوب، القادر على مواجهة الحركة الصهيونية ودحرها .وكان واضحاً أن الحركة القومية العربية لم تكن تمتلك برنامجاً ـــ فكرياً وسياسياً وتنظيمياً، أو عملياً – موحداً في مواجهة النشاط الصهيوني، فظلت المناهضة العربية للمشروع الاستيطاني تتسم بطابع العفوية والارتجال، وبالتالي، بردات الفعل التلقائية. وهذا الوضع بشكل عام لا يزال هو واقع الحال السائد في الجانب العربي راهناً رغم مرور أكثر من قرن على الصراع، بشكل أو بآخر، مع المشروع الصهيوني[2].

نوائب الدهر

وتوالت نوائب الدهر على فلسطين وأهلها، ففي عام 1915 تعرض الفلسطينيون لحملة تجنيد إجباري كثيف وتمت مصادرة منتجاتهم الزراعية وثرواتهم الحيوانية وعرباتهم لدعم الجهد العسكري التركي، وزادت على ذلك أن استخدمت بعض الأشجار المثمرة وقوداً، وكان من نتيجة هذا كله أن تحولت الأراضي المزروعة إلى

(1) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(1882 –1914) ، موقع عرب 48.
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

(2) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(1882 –1914) ، موقع عرب 48.
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

خرائب[1]، وفي يونيو/ حزيران من عام 1917 تم اختيار الجنرال إدموند اللنبي Edmund Allenby Henry Hynman لقيادة حملة غزو فلسطين وأعرب له لويد جورج David Lloyd George عن رغبته في أن يتم الاستيلاء على القدس مع حلول أعياد ميلاد عام 1918، وقد دخل اللنبي القدس في 11 من كانون الأول / ديسمبر عبر بوابة يافا Jaffa حيث أعلنها صراحة "اليوم انتهت الحروب الصليبية[2].

(1) عوني فرسخ: التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 207.

(2) باميلا آن سميث: فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص 49.

opeikandl.com